مذاهبهم الى العشر الاخير من شهر تموز فابتلاهُ الله بحمّى شديدة في ٢٨ منهُ. فتواردت اليه اطباء البلدة واشاروا عليه بشرب الدواء. فلم يرضَ زاعماً انَّ ساعة وفاته قد دنت واخذ يفكر في امور رعيته ويوصي اخاهُ بنيّاته الاخيرة ويعزي الحاضرين المكتئبين لدنوّ أجله

ولمَّا كان اليوم الثالث من مرضه استدعى كاتب اسراره فاملى عليه قول الكتاب (اشعيا ٤٠: ٦): كلُّ بشرٍ عُشبٌ وكلُّ مجدهِ كزهر الصحراء. ثم حرَّض تلامذتهُ على التحابّ والألفة مكرِّرًا لهم قول الربّ في الانجيل يوحنَّا: «بهذا اوصيكم ان تُحبّ بعضكم بعضاً». فاخذ الحضور يذرفون الدموع السخينة على سيّدهم وكان منهم من يمزّق ثيابهُ وغيرهم يذرُّون التراب على هامتهم بينما كان هو يتلقَّى الموت بوجهٍ بشوش. قال اخوهُ «وبقيتُ على هذه الحالة بضعة ساعات حتى انطفأ هذا السراج المضيء. اربالحريّ هذا النور الساطع وسقط هذا العَمَد الوطيد للملّة اليعاقبة الصغيرة والضعيفة فانتقل الى رحمة ربّه» في ليلة الثلاثاء الواقعة في ٣٠ تموز من السنة ١٢٨٦

فكان لنعاهُ وقعٌ عظيم كأنَّ المدينة اُصيبت بخطب جَلَل فاجتمع اليعاقبة والنساطرة والروم والارمن عند جثَّته وقضوا نهارهم في الصلاة عليه. وكان وقتئذٍ بطرك النساطرة يَهبالاها خلفُ دِنْحا منذ سنة ١٢٨١ موجودًا في براغة فامر كلَّ نصارى ملَّته بان يمتنعوا عن الشغل ويلبسوا الحداد ايذانًا بما طرأ على النصرانيَّة من الرزيَّة العظمى بوفاة هذا العلاَّمة الجليل. وبعد ذلك بمدَّة نُقلت جثَّتهُ الى الموصل فدُفنت باحتفال في دير مار متَّى حيث لا يزال قبرهُ مكرَّمًا كما سبق (ستأتي البقية)

كتاب
تاريخ بيروت

لمحمد بن صالح (تابع لما سبق)

ولم اقف الَّا على القليل من اخبار بحتر (١. واماَّ اخبار من قبلهُ فجدُّهُ والد بحتر وهو

١) وقد جاء في كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان (ص ٦٦٥ — ٦٦٧) تفاصيل اخر عن ترجمة الامير بحتر لا نعلم من اين اخذها الكاتب. واغا نتعجَّب كيف جهلها المؤلف مع تنقيبه عن اخبار اجداده. وهاك ملخَّص ما ورد في الكتاب المذكور قال: انَّ الفرنج في سنة ١١١٠ م

ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبد الله كان اميرًا بالبيرة سنة ثماني عشرة واربعمائة . واما النسبة الى آل عبد الله فليست هي الى عبدالله هذا وانما هي نسبة قديمة تتقدّم على سنة ثماني عشرة واربعمائة بسنين كثيرة . ومن الدليل انّ الآل هي الفروع التي تنتسبُ الى اصل واحد وعبدالله هذا لم يكن له في ذلك الوقت فروع كما انّ آل سليمان(١ يزعمون ان سليمان من ولد خالد بن الوليد رضي الله عنهُ وهو متقدّم على هذا التاريخ بمئين من السنين وان يكن للسلف شركاء في النسب على بُعد فالسَّلَف اصول بالكبريّة والامريّة وما عداهم فروع . والشرفُ في الاصل لا في الفرع

وقد وجدتُ في بعض انساب البلاد انّ الامراء بعرامون(٢ من الحيّرا(٣ من البقاع . فان كانت نسبة صحيحة فهم الامراء من بني ابي الجيش المعروفين ببني سعدان بعرامون . وغيرُهم من الامراء بعرامون هم من ولد زين الدين بن علي بن مجتر الآتي ذكرهُ ان شاء الله . وقد جعل بعض الحمقى هذه النسبة مَشْطًا في الكلام الى انّ السلف ليس منهم احد من ولد جُشَير . فهذا غلط مفرط وحسدٌ أضلّهُ عن الصواب لانّ دلالة النسبة واضحة يتوارثُها في البيت اصاغر عن اكابر ويتداولها خلَف عن سلَف ولو لم يكن لهم دليل الّا مناشيرهم لكفاهم ذلك (٤ لانّ (٥٤ مناشيرهم باقية باسماء السلف من قديم

(٥٠٣ هـ) انقسموا الى فريقين احدهما في جنوب بيروت والآخر في شمالها فدهموا الغرب وضبطوهُ وقتلوا كثيرًا من الامراء لم ينجُ منهم سوى الامير مجتر بن عضد الدولة علي وكانت أخفتهُ أمُّهُ في عرمون حتّى اجلت الفرنج . وكان صاحب صيداء الامير عبد الدولة صالح الفرنج على الامان فسار الى الغرب واخذ بتربيته واستقلّ بالامارة ولّاهُ عليها طتكين صاحب دمشق سنة ١١٣٦ م . ثم قُتل عبد الدولة فخلفهُ ابو المشائر بمجتر بن عضد الدولة فنفذ حكمهُ وعظم امرهُ . وكتب اليه سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) مجير الدين آبق (كما ذكر ابن صالح) . وفي سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) كانت واقعة رأس النبع عند نهر النذير بين الامير ابي المشائر والفرنج قُتِل فيها كثير من الفرنج وفرّ الباقي الى بيروت وتحصّنوا فيها . ومن ثمّ تزادفت غزواتهُ عليهم حتّى بلغ الشهرة العظيمة . وكانت وفاتهُ سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م)

١) يريد حيًّا من احياء المسلمين لم نطّلع على اخبارهم

٢) عرامون المذكورة في هذا التأليف احدى القرى الكبيرة في مقاطعة الغرب الاسفل وسمّاها بالسريانيّة التلّة . وفي مقاطعة كسروان قرية اخرى بهذا الاسم

٣) هم حيٌّ كبيرٌ من العرب كانوا يسكنون في بقاع العزيز

٤) حاشية المؤلف : وجميع ما نذكرهُ من المناشير والمكاتبات والاوراق فهي عندنا محفوظة الى هذا اليوم

جدول ثان

لنسب الامراء التنوخيين من بني المغرب

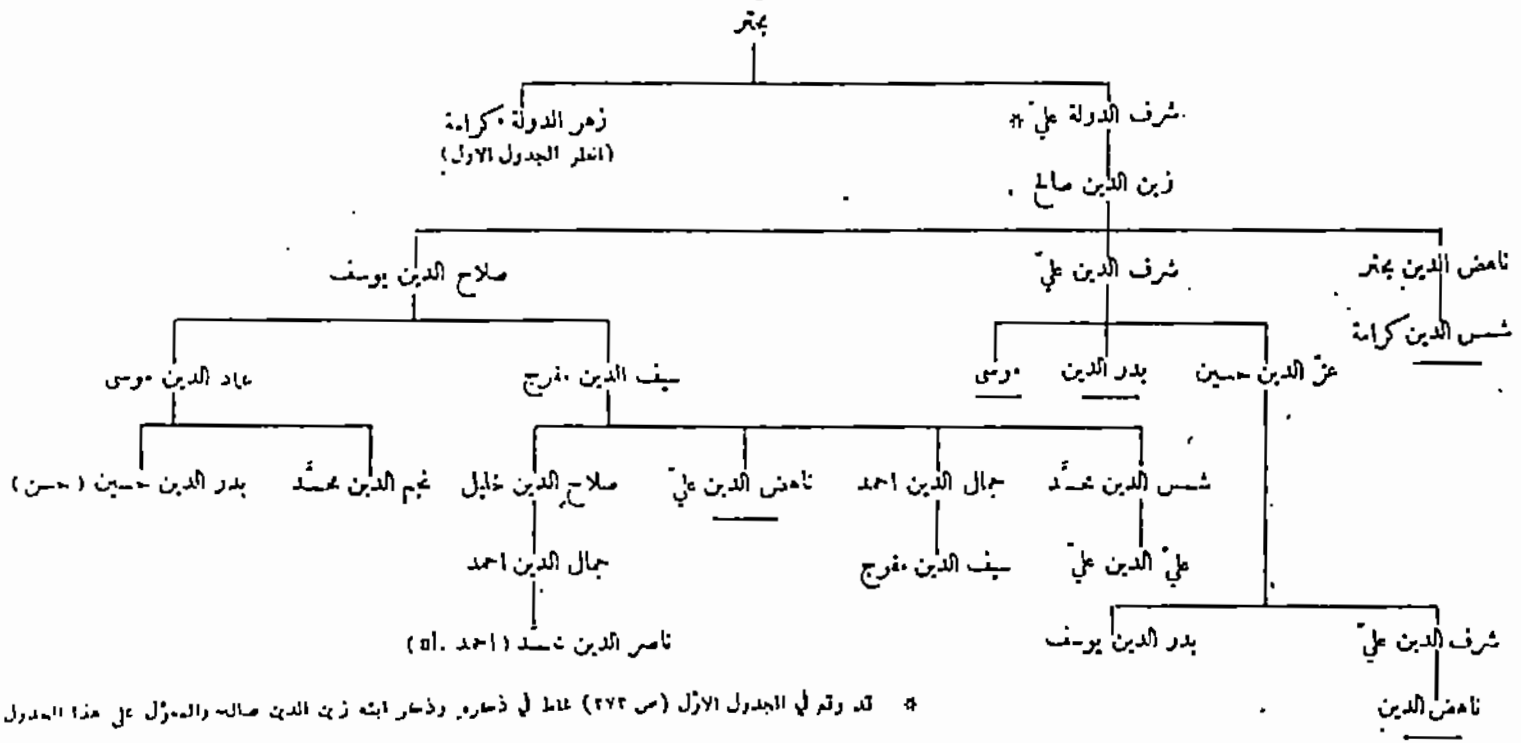

* قد وقع في الجدول الاول (ص ٢٧٣) غلط في ذكره وذكر ابنه زين الدين صالح والمعوّل على هذا الجدول

جدول ثالث

لنسب الامراء التنوخيين من بني العرب

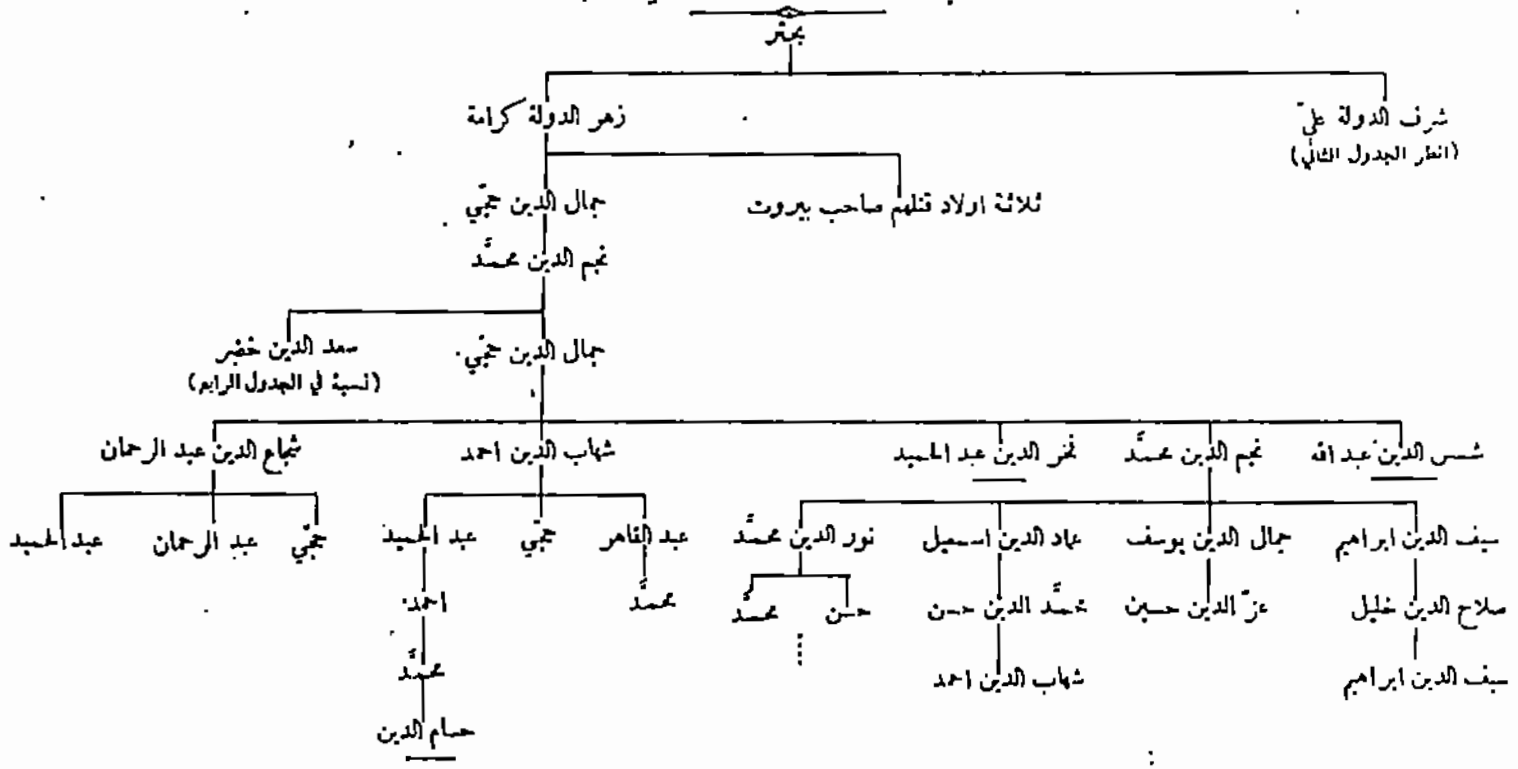

جدول رابع

لنسب الامراء التنوخيين من بني المغرب

نجم الدين محمد بن حجي بن كرامة بن بختر

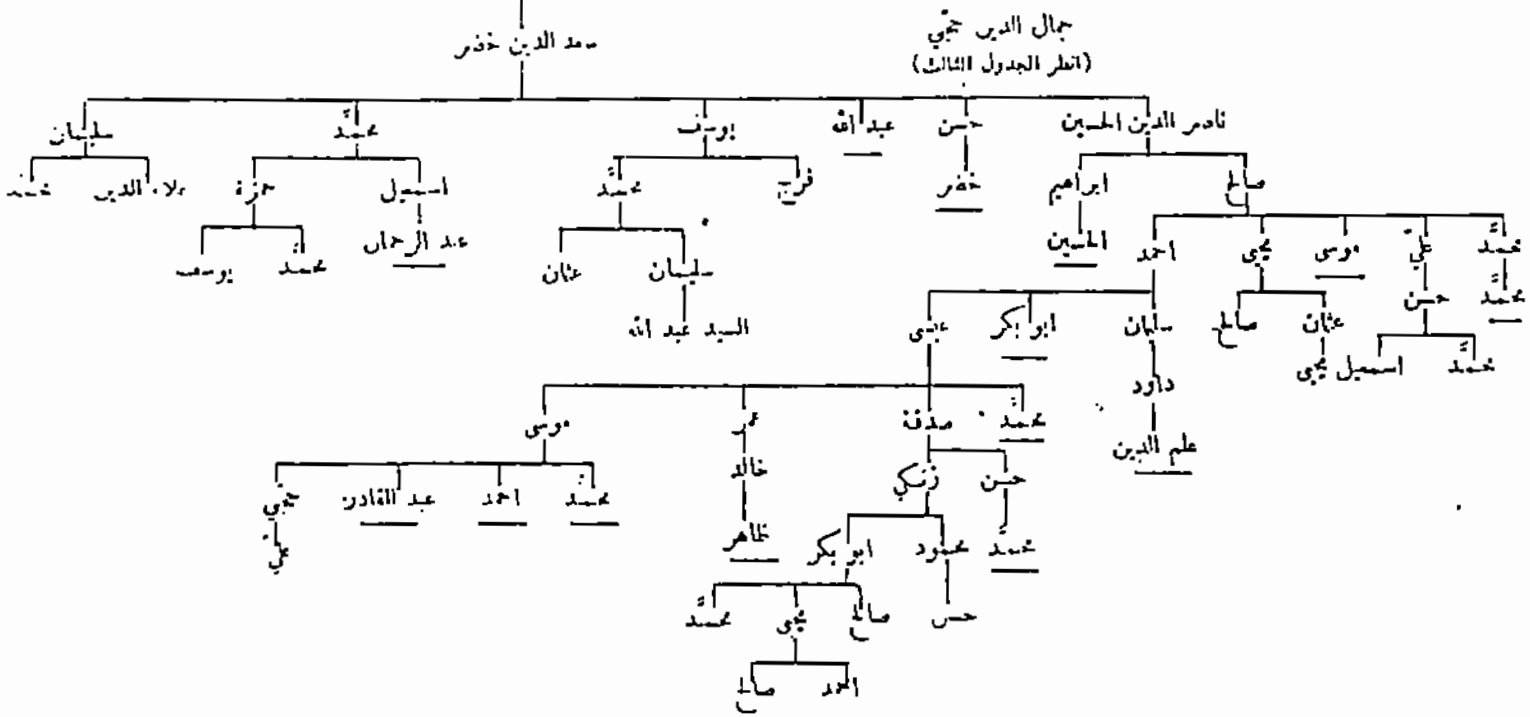

الزمان متسلسلة متصلة باسم بعد اسم الى منشور بجتر المذكور لم تنقطع وهي واضحة البيان خلية من الاشكال لم يدخل فيها ريب ولا وهم. ومنشور بجتر المذكور تاريخهُ سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م) ربين سنة ثماني عشرة واربعمائة مائة واربع وعشرون سنة. فليس هذه مدة يجهل فيها بجتر نسبهُ ولا هي مدة تبعد على اربع دول اعني ايام بجتر وايام والده علي وايام جده حسين وايام جد ابيه وهو ابو اسحق ابرهيم بن ابي عبدالله الذي ذُكر في منشور بجتر وكان مذكورًا في سنة ثماني عشرة واربعمائة فهذا ردٌ على الجاهل الذي ذكرناهُ وقد قيل:

ما ضرَّ نهرُ الفرات يومًا ان ولغ بعض الكلاب فيه

ذكر كرامة بن بجتر *

ثمَّ بعد بجتر نذكر ولدهُ زهر الدولة(١ ابا العز كرامة بن بجتر بن علي. قيل ان كرامة المذكور هو الذي سكن حصن سرحمور(٢ وربما كان سكناهُ فيه عندما قويت شوكة المسلمين باستيلاء الملك العادل نور الدين على دمشق. وربَّما كان كرامة قد اهمل الفرنج وتمسَّك بالملك العادل. ومن الدليل على ذلك اني وجدتُ بين الاوراق القديمة مرسومًا مطلقًا من الملك العادل نور الدين. علامتهُ «الحمدُ لله» في رأس الرسوم فوق البسملة. من مضمونهِ (٢١ ٧): انَّ الامير النجيب زهر الدولة مُفيد الملك امير العرب كرامة ادام الله تعالى عزَّهُ وسلامهُ مملوكنا وصاحبنا ومَن اطاعهُ فقد اطاعنا ومَنْ عاونهُ في جهاد الكفَّار فقد عمل برضانا وكان مشكورًا منَّا. ومن خالفهُ في هذا الامر وعصاهُ فقد خالف امرنا واستحقَّ المقابلة والسياسة على العصيان. تاريخهُ سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (١١٥٧ م)

واما منشورهُ فهو من الملك العادل نور الدين المذكور. وعلامتهُ «الحمد لله» فوق البسملة مثل العلامة الاولى. ومن مضمونهِ: لمَّا جاهر الامير زهر الدولة شجاع الملك جمالُ الامر ابو العز كرامة بن بجتر التنوخي ادام الله عزَّهُ الى بابنا زيدَ علاهُ ولاذ بالخدمة وتقرَّب اليها وقصد الدولة العادلة والتمس الخدمة بين يديها تُقبِّل سعيُهُ وأُجيب الى مُلتمَسِهِ ورُسم لهُ

* انظر جدول نسبهِ (ص ٣٧٣)

١) حاشية للمؤلف: ووجدتُ لقب المذكور في المكاتيب القديمة شمس الدولة كرامة وقيل شمس الدين

٢) سرحمور قرية قريبة من عرامون في مقاطعة الغرب الاسفل

أنشاء هذا المنشور مودعًا ذكر ما تأثل لهُ من الإرعاء والاحترام والاعزاز والاكرام يوضح ذكر (١ من ديوان الاستيفاء المحروس حماهُ الله . والعدّة اربعون فارسًا وما امكنهُ وقت المهمّات الشريفة . وجهاتهُ غالب قرى الغرب . ومن غير الغرب القُنيطرة (٢ من البقاع ظهر حمار (٣ من وادي التيم ثعابايا (٤ من البقاع ايضًا بُرجة بعاصر منها المعاصر والفوقا (٥ والدامور (٦ وشارون ومجدلبعنا وكفرعمّيه (٧ (22) والتاريخ سابع شهر رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة

وقيل انّ هذا المنشور بخطّ العماد الاصبهاني الكاتب (٨ وهي كتابة عليها الضعف (٩ والملك العادل زاد في إقطاع كرامة المذكور وهذا ممّا يدلّ على ميل كرامة اليه . وكان الملك العادل مختارًا للفرنج فلا عجبًا من تحصّن كرامة في حصن سرحمور . واما اخوهُ شرف الدولة عليّ بن مُجلّي فهو والد زين الدين بن عليّ ومن ذُرّيته الامراء بعرامون وسيأتي ذكرهم فيما بعد ان شاء الله)

زين الدين بن عليّ

كان معاصرًا لجمال الدين حجي واخيهِ سعد الدين خضر ولدي نجم الدين محمّد بن جمال الدين حجي بن كرامة المذكور فكان في زمانهما وهو ابن عم جدهما (١٠ (راجع الجداول الثلاثة في الصفحات ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢) (يتلوهُ البقية)

---

١) هكذا ورد في الاصل ولم نتبيّن مراد الكاتب

٢) هي ضيعة صغيرة من ارض البقاع اهلها من المتاولة

٣) لم نجد لها ذكرًا

٤) وهي قرية صغيرة بقرب تعابل والشتورة أهلها من الدروز

٥) لم نعرف مواقع هذه القرى

٦) الدامور يريد بهِ النهر الواقع في جنوبي بيروت في نصف الطريق بينها وبين صيداء وما جاورهُ من المزدوعات

٧) شارون ومجدلبعنا وكفرعمّيه ثلاثة قرى معروفة من مقاطعة الجرد

٨) كان كاتبًا لنور الدين ولصلاح الدين الايوبي (راجع ترجمتهُ في وفيات الاعيان لابن خلّكان الجزء الثاني ص ٩٧ في حرف الميم) توفي سنة ٥٩٧ (١٢٠١ م)

٩) لعلّهُ يريد ان انشاء هذا المنشور ركيك

١٠) وفي هامش الكتاب ما حرفيتهُ : صحيح كان ذلك